الجزاء

{ مسرحية من فصلين وخمسة مشاهد }

بقلم/

شريف نجاح

الفصل الأول

المشهد الأول

شجرة عجفاء شاحبة بلا أوراق ... تلال صغيرة من رمال صفراء وقطع أرضية مسطحة يعلوها الكثير من الأعواد الجافة ، وصخرة فيها جوف كعش لبعض الطيور وتوجد هنا وهناك أعشاش متناثرة , يقبع زرزوران يتشاجران أحدهما سعدون والثاني خفيف

يهجم سعدون علي خفيف وينقره من أعلى رأسه قائلاً:

سعدون : لن تأخذ هذه الحبة إن حبة القمح ملكي ، إنها قريبة من عشي وكانت علي طرفه .

خفيف : لقد سقطت مني وأنا ذاهب لعشي القريب من الصخرة .

سعدون : كلا لقد بعثرتها الرياح من أمام عشي وكانت علي طرفه

خفيف : ما الذي جاء بها علي طرفه أيها السخيف ؟

- ينقره في جانبه -

في جانب آخر كان الهدهد والببغاء يراقبان المشهد

الهدهد : انظر إلي أي شيء وصلنا ..إلي الشجار علي حبة .. حبة واحدة تخيل !

الببغاء : ألا يوجد حل لهذه المشكلة ؟

الهدهد : أي حل ؟ لا مياه ..ولا مطر.. ولا شجر.. ولا مخزون .. ولا حتي بشر نأكل من محصولهم والجميع يفكر في نفسه

الببغاء : يفكر في نفسه .. لن يستفيد من نفسه شيئاً .. لابد من التعاون .

الهدهد: لقد عرض الرخ حلاً

الببغاء : وما هو ؟

الهدهد: سأخبرك به ولكن بعد أن نحل هذه المشكلة

- يتجهان إليهما -

الهدهد : أيها الزرزور.. ياسعدون ..يا خفيف كفا عن الشجار.. ماذا بكما ؟

الهدهد موجهاً كلامه للببغاء

- هيا بنا لنقترب منهما (يقتربان وهما يناديان عليهما)

الببغاء : توقفا ، ما المشكلة ؟

سعدون : حبة قمح كانت أمام عشي وأخذها هذا السخيف .

خفيف : أرجوا أن تحفظ لسانك .
الهدهد : لا تشتم تكلم عن المشكلة فقط .. الطيور تعد طعامها هذه الأيام . كم كان في عشك هذا الصباح ؟
سعدون : عشرون قمحة أطعمت صغيريّ ستة حبات .
الهدهد: وأنت وأمهما ألم تأكلا ؟
سعدون : لقد أكلنا من الجوال الذي كان علي العربة حتي شبعنا .
الهدهد : وأين كانت هذه العربة ؟
سعدون : في مكان بعيد جداً ويبدوا أنها أتت مصادفة ..ثم حملنا العشرين حبة لأطفالنا .
الببغاء : أحضر الحب لنعده
أحضره من العش وعده حتي أربعة عشر حبة
سعدون : هل آخذ حبتي الآن ؟
طأطأ سعدون رأسه وقال في صوت مخجل : خذها
أخذها خفيف وابتلعها .
الببغاء : أليست لك زوجة وأطفال ؟
خفيف : ومن المجنون الذي يتزوج هذه الأيام ؟ معدة واحدة خير من ثلاث أو أربع .
الببغاء مخاطباً الهدهد : ماذا عرض الرخ ؟
انفجر سعدون ضاحكاً ! فالتفتوا إليه .
خفيف : إن عرض الرخ هو الحل الأمثل .
الببغاء : ماذاا عرض الرخ ؟
خفيف : تعلم أن الرخ هو أشد الطيور بؤساً في هذه المنطقة .؛لأن عشرين أو مائة حبة لن تكفيه ولذا فهو أشدنا جوعاً وأشدنا هزالاً .
الببغاء :حسناً
سعدون : لذا هو يريد أن يخدعنا لنجمع له خمسمائة حبة ليأكلها و خمسمائة أخري يزعم أنه سيحملها كوجبة إلي أرض الشرق البعيد حيث يوجد بعض أصدقائه من طيور النوارس الذين لا يهتمون بالحبوب كثيراً وقد تعرف عليهم قديماً في إحدي

سفرياته قائلاً أنه سيأتي بهم ومعهم الحبوب ليطعمونا ثم يحملونا إلي أرضهم البعيدة وأنا اعتقد أن المسألة كلها خدعة .
خفيف : ولكن صديقي طائر السمان أخبرني بوجود هذه الأرض فعلاً .
سعدون : حتي ولو كانت قصة حقيقية ما الذي يدعوني إلي المخاطرة بحياة أطفالي ؟
خفيف : المغامرة من أجل أمل في النجاة خير من موت محقق بعد حياة قصيرة بائسة .
الهدهد : الرخ قال إنه سيعود في خلال أسبوع . أنستطيع تدبير أمورنا خلال أسبوع .. لا أعتقد
خفيف : لماذا ؟
الهدهد : الماء

فجأة تسمع ضجة كبيرة وصوت يقول :

- استعدوا للقتال يا رجال سوف نقضي عليهم
صوت ثاني : عين الشمس أقرب لكم ... الموت لكم
وتظهر مجموعة من الطيور مصطفة مقابل مجموعة أخري مصطفة
سعدون : هاهي مشكلة الماء تتجلى
خفيف : كيف ؟
سعدون : هذه المعركة من أجل الماء
خفيف : أي ماء ؟ ماء العيون قصدك ؟
سعدون : كلا هناك صخرة مقعرة ملساء في الناحية الغربية ، صخرة كبيرة تجمع قطرات الندى وطيور اليمام تتشاجر مع طيور الحمام وقد اتفقوا علي إقامة معركة فاصلة يفوز المنتصر فيها بحق الاستيلاء علي الصخرة
الهدهد : ولكن بعضهم سيموت .
الببغاء : تقصد الكثير منهم .
خفيف: هنا تظهر روعة فكرة الرخ .. بدلاً من الموت المحقق
الببغاء : هل ستقنع هذه الجموع لتكف عن القتال من أجل فكرة الرخ ؟

خفيف: سأحاول ..هيا نذهب
يطيرون إليهم والجماعتان تتبادلان التهديدات والترهيبات
يصرخ فيهم خفيف : توقفوا انتظروا (يطير ويقف بين الصفين) انتظروا
تخفت الأصوات رويداً رويداً حتي تتوقف تماماً
خفيف : اسمعوني جيداً
فجأة تخرج رؤوس وتطل من الأعشاش المجاورة لأرض المعركة لتستمع
يستمر قائلاً : إنكم الآن مقدمون علي موت محقق لا مفر منه ...سيموت ثلثكم علي الأقل وإني أعرض عليكم أن تتريثوا وتنتظروا ويتنازل كل فرد منكم عن عشرة حبات من أجل الرخ
- تتعالي الزقزقات والسخرية والضحكات من الجيوش والأعشاش -
صوت : حبة في يدنا ولا مائة في أرض الشرق
صوت آخر : ماذا سنفعل خلال الأسبوعين ؟
إحدى الحمامات : أنت طائر أحمق .
ذكر يمام : أنا عندي قوت الأسبوع ولن أتخلي عنه
يصرخ قائلاً : إنكم ستموتون الآن ، ثلثكم سيفني من أجل لا شيء
يخرج قائد الحمام قائلاً : بل من أجل ماء نراه بأعيننا كل شيء
خفيف : وهل ترون القمح بعد أسبوع بأعينكم .. هل هناك صخرة تجمع القمح من الريح ؟!
- يهجم عليه قائد اليمام ويطرحه أرضاً وينقره -
قائد اليمام : اذهب لا وقت لنا لترهاتك
- يصرخ طائر الفرقاط من أحد الأعشاش -
دع الرجال يخوضون المعركة أيها الجبان الرعديد
خفيف : أنت أيها المجرم السافل تفتح بطون الطيور بعد موتها وتأخذ ما فيها من حب .. أيها الشيطان لقد رأيتك أكثر من مرة .
تتعالي صرخات القتال وتدور معركة هائلة بالمناقير والأظفار

تنتهي المعركة وتموت أعداد كبيرة من الطيور ويشاهد الفرقاط وهو يحث أبناءه علي فتح البطون والبحث عن الحبوب السليمة .

يسدل الستار

المشهد الثاني

(نفس المنظر الأول)

يوجد الرخ تحت الشجرة الكبيرة وهو يترنح وتتمايل رأسه ويئن

- جائع ..جائع

يدخل خفيف فجأة : سيدي الرخ ... سيدي الرخ

الرخ : "بصوت واهن " سيدي عجباً من يناديني بهذا اللقب .. الجميع يسمونني المخادع ، المجنون ، الطائش

خفيف : أنا سأناديك بهذا اللقب ؛ لأنك تفكر من أجل الجميع , ولقد فكرت كثيراً في عرضك الطيب يا سيدي ولقد كان يؤلمني جداً إعراض الطيور عنك وسخريتهم من فكرتك ولكن الحمد لله لا نحتاج الآن لحبوبهم لقد أتي الله بالفرج من عنده والحمد لله

الرخ : كيف بشرك الله بالخير ؟

يهمس خفيف وهو يتلفت

- اسمع كنت في رحلة بعيدة لعلني أجد شيئاً آكله ، وفجأة بعد يأس رأيت رجلاً من بعيد يجمع متاعه علي فرس وهو خارج من كهف فانتظرت قليلاً ودخلت وراءه لعلي أجد من بقايا طعامه ، وكانت المفاجأة لقد نسي الرجل كيس أرز كامل وهو كيس يكفيك لأربعة أيام .

الرخ : كان من الممكن أن تحتفظ به لنفسك وتأوي إلي هذا الكهف الذي لابد أن يأتيه البشر حيناً بعد حين

خفيف : كلا يا سيدي لعل هذا اختبار من الله .. ليرى هل سأطمع أم سأعمل من أجل الجميع .

الرخ : ما أعقلك

خفيف : هيا إذن

الرخ : ولكني مرهق ..وأنت تقول المكان بعيد وأيضاً مشكلة الماء

خفيف : إذاً ابق لكي تموت

الرخ : سأتحامل وأستريح في الطريق - يبدأ في الترنح ويطير ومعه خفيف -

يخلو المكان

وتدخل مجموعة متنوعة من الطيور

طائر : ما هذا الأثر الكبير تحت الشجرة انظر

آخر : إنه أثر الرخ

يرد ثالث : الرخ المسكين المجنون

رابع : يريد أن يعيش ليموت المئات

الأول : قصدك يموت المئات ليعيش

الرابع : اعذرني الجوع أذهب عقلي

خامس : وعقل الرخ أيضاً حتي ظن أنه سيخدعنا جميعاً

سادس : ربما لم يكن مخادعاً لكنه مخدوع

الخامس : ومن الذي خدعه ؟

الأول : بطنه

- يقهقه الجميع قهقهات واهنة ثم يغادرون القاعة في بطء شديد وترنح -

ينزل الستار ثم يرفع عن المكان وهو خال وفجأة يدخل الرخ نشيطاً ومعه الكيس المغلق مربوط علي ظهره وعلي ظهره أيضاً يقبع خفيف

الرخ : والآن يا خفيف من أين سنأتي بالماء ؟

خفيف : من الصخرة الملساء قبل طلوع الشمس نشرب كثيراً ونملأ بوصة أو أي شيء شبهها ثم نرحل .

يسدل الستار

المشهد الثالث

(نفس المنظر الأول وفي المشهد طيور مستلقية ومترنحة)

بلبل : جائع جائع .. هل يمكن أن تدفعني ناحية الظل ؟

الهدهد : ومن الذي سيدفعني .. أنا ؟

الببغاء : لا يحمل ميتاً ميتاً

قائد اليمام : ما هذا الفأل السيئ

الببغاء : وهل الموت بالنسبة لك فأل ، أم واقع تمارسه وتقتل من أجله أبناء عشيرتك وإخواننا من الحمام ؟ وبالمناسبة لماذا تركت صخرتك التي تجمع الماء وجئت إلي الحرور ؟

قائد اليمام : وماذا يفعل الماء وحده ؟ لقد جئت طمعاً في ...

الببغاء : في ماذا ؟

الهدهد : في الوهم
قائد اليمام :لابد من الوهم
الببغاء : ولماذا لا تعود ؟
قائد اليمام :وهل يستطيع أحد منا الحركة ؟
- تترنح مجموعة وهي تتحرك ناحية الظل تسقط وتقاوم -
الهدهد : ما رأيك الآن في عرض خفيف ؟
يتلفتون جميعاً في تنبه : آاااه خفيف ... ليته يصدق
البلبل : هل يمكن أن يجيء .. أن يعود فعلاً ؟
عصفور صغير : أتمني ذلك
فجأة تظهر النوارس كثيرة ومعها الرخ
يتهلل الجميع وتصدر رنات الفرح وتحدث هيصة .. ينزل الرخ
الرخ : يا لقومي الأعزاء ماذا حل بكم ؟! ينثر الحبوب وتنثر النوارس الحبوب وينزلون أكياساً فيها ماء وتقوم النوارس بحمل من لا يستطيع الحركة إلي الطعام والماء
بعد الانتهاء من الطعام تزقزق الطيور ...وتشعر بالنشاط والحيوية
الرخ : أين سعدون ؟
الببغاء : إنه قابع في بيته بعد موت زوجته وأولاده وهو يستعد للموت
يطأطئ الرخ رأسه متأملاً ويهز رأسه مؤمناً في حركة مفهومة
ويغيب فجأة ويعود حاملاً سعدون ويضعه أمام الماء والطعام
الرخ : أين الفرقاط ؟
العصفور الصغير : مريض هو وأولاده
الغراب : لقد كان يأكل ما في بطون الموتى
الرخ يحمل الطعام إليهم ويغيب ثم يعود وهم معه طائرين حتي لا يلمسهم .
(يتجه نورس نحو الرخ لقد استرحنا بما فيه الكفاية ونريد العودة هيا أنجز ما اتفقنا عليه)
الرخ يتجه إلى موضع مرتفع وينادى بصوت مرتفع :

_ أيتها الطيور اسمعوني جيداً لقد وافق السادة النوارس مشكورين علي حملكم إلي أرض الشرق حيث
يوجد الخير الوفير مقابل أن تكونوا عبيداً لهم تصيدون لهم وتحملون إليهم في حدود طاقتكم فماذا تقولون؟

(صمت تام ثم بعد فترة)

الهدهد : ومن الذي يستطع أن يرفض ؟
الرخ : الذي يوافق يرفع جناحه الأيمن
يرفع الهدهد جناحه الأيمن وفي تباطؤ يرفع الجميع أجنحتهم
يتجه النورس إلي المكان المرتفع .. ويقول :
ولكن هناك شرط هام
الرخ : ما هو ؟
النورس : لن نحمل المرضي معنا
الرخ : هل نتركهم يموتون ؟
النورس : كلا هنا الصخرة التي حدثتنا عنها ..والكهف الذي حدثتنا عنه !
وسنترك لهم كمية معقولة من الحبوب ليدبروا أمورهم .. ولا تنس أنهم أشرار يدبرون الحروب من أجل منفعتهم
الرخ : لا بأس .. موافقون .

يسدل الستار

الفصل الثاني

المشهد الأول

أرض النوارس يظهر جدول من الماء كأنه جزيرة صغيرة تهب الرياح حولها وتطير الطيور الجميلة في جوها والأسماك تسبح حولها وتفتحت في الجزيرة الزهور الصغيرة البيضاء والزرقاء وبنفسجات لها عيون ذهبية وبراعم التوت البري بألوانها

البيضاء الشمعية وشجرة كمثري وحيدة رائحتها تدغدغ الأنف عليها أعشاش لطيور الرفراف الجميلة , وقريباً منها يطير نورس ممسكاً بسمكة
وفي مساحة ظليلة يظهر خفيف وقد بان عليه وفي صوته الكبر وحوله تلتف مجموعة من الطيور .
طائر : لقد تعبنا كثيراً من نمط حياتنا يا سيدي
خفيف : اصبر يا سمسم كما صبر أبوك سعدون
سمسم : أبي .. لماذا لم تأخذه معك وأنت ذاهب مع الرخ ؟
خفيف : هل سنعاود الجدل مرة أخري يا بني إنني لا أتحمل هذا الجدل .
يقهقه طائر
سمسم : لماذا تضحك يا دَندن ؟
أضحك لأسلوبك في التفكير .. كل منا يمكن أن يسأل السيد خفيف هذا السؤال .." ثم بنغمة مقلداً سمسم "
لماذا لم تأخذ والدنا معك يا عماه ؟
- يقهقه الجميع ومعهم خفيف وسمسم -
خفيف : أنت يا دندن اسم علي مسمي
دندن : لابد من الفكاهة إنها تخفف عني عناء سيدي " قيظ " (يقلد بصوت فخم) يا دندن .. يجب أن تنقي السمك جيداً من الشوك للأطفال . عندها أقول يا سيدي إن هذا سيجعل قنصتهم غير مدربة " يفخم صوته "
أطع أيها الصعلوك وإلا أعدتك إلي وظيفة الشيال . فأخاف أن أعود لقصم الظهر وأسكت
في الواقع " قيظ " يتحول أحياناً لكتلة " غيظ " و" غيظ " هذا هو لقبه عند زوجتي
- ينفجر الجميع ضاحكاً -
فجأة يدخل بلبلان : السلام عليك
- يردون السلام
البلبل : هل يمكن المساعدة يا إخوان ؟
خفيف : وماذا تريد يا أخي ؟

البلبل الثاني : لقد اصطاد أسيادي النوارس عشرون سمكة من الحجم الكبير وذهبوا للتنزه وأمرانا أن نحملها إلي العش ونحن بالكاد نستطيع حمل سمكة واحدة في المرة الواحدة

خفيف : قوموا لمساعدة أخويكم

يذهب الجميع مع البلبلين

خفيف : يا رب أسألك فرجاً قريباً لقومي .. ما أشد شوقي للرخ لقد رحل صديقي الغالي الحميم الممتلئ رجولة وطهراً .

فجأة يسمع صوت استغاثة وصوت ينادي .. أنقذوني ..... أنقذوني

خفيف : مه مه ..أين أنت ؟ ومن أنت ؟

أنا الدب الحكيم .. خلف شجرة التوت أيها العزيز

يذهب إليه

خفيف : كيف سقطت في هذه الحفرة ؟

الدب: لقد كان فخاً صنعه البشر ، ربما لغزال ، لقد نجوت بأعجوبة , ولكنى لا أستطيع الصعود إلي أعلى مهما قفزت .

خفيف : لا بأس أيها الدب الحكيم . سنفكر الآن في حل لهذه المشكلة.

تعود الطيور بعد فترة ويأخذهم خفيف بعيداً ليتحدث معهم

خفيف : يبدوا أن الله يحبكم

سمسم : كيف يا سيدي

خفيف : هناك باب آخر من أبواب العون , الدب الحكيم وقع في حفرة .. عميقة .. ويحتاج أن ترفعوه

طائر : ولكنه ثقيل جداً يا سيدي

يطأطئ خفيف مفكراً ويفكر الجميع معه

دندن : عندي حل

خفيف : هيه

دندن : نقذف حجارة صغيرة ونكومها ونجعل منها مرتفعاً يعلوه الدب

خفيف : رائع ولكن حذار أن تؤذوه

سمسم : مُرهُ فليتنحي جانباً
خفيف : أفعل(و يذهب للدب).. هيا تنحي جانباً يا عزيزي الدب
الدب : ما الذي ستفعلونه ؟
خفيف : كل خير إن شاء الله
تأتي الطيور وراء خفيف
طائر: هذه هي الحفرة ... جيد أنها قريبة
الجميع يتكلمون : هيا هيا للعمل
خفيف : هيا
يبدءون في العمل ويقذفون حجارة صغيرة ويرى طائران يتعاونان في حمل حجر كبيراً نوعاً
الدب : الآن فهمت ما ستفعلون
يقذفون الحجارة حتي تصل إلي حد معين وحينها ينادي الدب
- توقفوا
ويقفز خارجاً من الحفرة ويتوجه إليهم
الدب : أنا ممتن لكم أعظم امتنان .. وسوف أرد جميلكم يوماً .. إذا احتجتموني فأنا في الجانب الآخر من النهر عند شجرة التفاح .. في انتظار زيارتكم .
- يتوجه للانصراف -
الطيور : مع السلامة ..في أمان الله .

يسدل الستار

المشهد الأخير

- نفس المشهد السابق -

طائر : لقد زاد شقاؤنا بعد مرض النوارس

طائر أخر : لقد أصبحوا لا يقومون بالصيد ونحن نضطر أن نصطاد لهم ونطعمهم هم وأبنائهم .

سمسم : ولماذا نساعدهم ؟ لماذا لا نهرب إلي أرضنا التي ولد فيها آباؤنا أحرارا . نعمل ونجد حتي نعمرها ونكون فيها أسياداً لا عبيدا ؟، ونضمن لأولادنا مستقبلا غير ما نحن فيه من العبودية . لماذا ؟

نفس الطائر : الوفاء يا أخي مهما كان .

بلبل : دع عنك هذا الكلام يا سمسم ليس هذا من شيم الرجال حتى ولو كانوا عبيداً. توجد حلول غير هذا

الذي تقوله .

عصفور : ألا يوجد حل لشفائهم ؟

خفيف : هذه أول مرة أري فيها طيوراً يتساقط ريشها وتتقصف مناقيرها

دندن : وماذا نفعل يا سيد خفيف ؟

خفيف : لقد فعلت بالفعل وأرسلت إلي الدب وهو مشهور بمعرفته بالطب

سمسم : وماذا قال لك ؟

خفيف : قال لي أن النوارس أرسلوا إليه ولكنه تظاهر بعدم معرفته للمرض

دندن : ولكن لماذا تظاهر بعدم معرفته للمرض ؟- يقول هذا بصوت منخفض ويبدوا أنه بدأ يعرف السبب-

خفيف : لأمر ما !

سمسم : ألم يخبرك به ؟

خفيف : نعم لقد أخبرني

دندن مندفعاً قبل أن يتم خفيف كلامه : ماذا قال لك الدب الحكيم ؟ يا إلهي , هل ما أفكر فيه صحيح ؟ أخبرني بالله عليك ماذا قال لك ؟

عصفور : دعه يتكلم

دندن : آسف يا سيدي

خفيف : لا عليك لقد قال إنه عرف المرض ، وأن جده أخبره عن أبيه عن جده أن النوارس قد حدث لها ذلك وكان شفاؤها في خلطة طبية .

سمسم : وما هي حتي نستريح ويعودوا لمساعدة أنفسهم ؟

خفيف : لقد عرض علي عرضاً مغرياً وذكياً !

ببغاء : وما هو ؟

خفيف : أن نقايضهم ... حريتنا مقابل شفاءهم .

دندن : يا سلام ما أذكاني لقد فهمت الأمر من البداية ؛ لأن فعل المعروف في أهله لا يضيع ، ومن يعمل الخير يجده أمامه مهما طال الزمن .

عصفور : وماذا فعلت يا سيدي ؟

خفيف : أنتظر الرد من النوارس .

سمسم : يااه ما أجمل عاقبة التعاون والسعي في حاجات الآخرين .

خفيف : هذه هي حكمة قصة آبائكم .

دندن : وربما تكون حكمة قصتنا أيضاً إذ...

يدخل نورس فجأة منكوش الريش ويتكلم بصوت واهن قائلاً

- إذا وافق النوارس اطمئن ..هي حكمة قصتكم أيضاً .

يسدل الستار

انتهي